هذه القصيدة ليس على يقين . انه ينظر التماعات يخاف ان يحدد طبيعتها خوفا من السقوط في الوهم لكنه يجسد ما يرى . ويعود الضباب ويلف كل شيء ولا تحل نعمة اليقين .

تبدأ القصيدة بالابحار في اعماق الذات ، والشاعر يجلس في المقهى وكأنه ركن هو ايضا الى ما يشبه الخمول بعد ان فقد امله بجدوى الفعل وسط عالم سيطر عليه الموت والعدم وعاد الى السديمية الاولى قبل فعل الخليقة . واصبح قلب الشاعر عشا ليوم يفرخ ويتكاثر فيزداد شعوره بسيطرة الخراب والدمار ويموت في نفسه نبض البطولة ويفقد نعمة الاحساس بالالم الذي يؤكد له انه ما زال حيا ويسود مكانه شعور باللامبالاة معادل للموت . وكأن الهزيمة لطول ما سادت وتحكمت اصبحت جزءا طبيعيا من ذات الشاعر التي كانت في مطلع القصيدة صورة لذات كل انسان آخر اختار ان يفني الساعات الميتة في المقهى ، يقول :

طالما اوغلت في بحر خفي
لا يداني
شطه المرصود ايقاع الثواني
حيث لا تشتد هول الموج
حتى يمحي نجم ومبح وموانى

الى ان يقول :

واري عبر الوجوه الصم
في المقهى الضباب
ضبت وجهي ووجومه
افرخ اليوم
ومات النسر
في قلبي الذي اعتاد الهزيمه

ويجسد الشاعر مأساة الحضارة الميتة التي غدت معلبة في المقاهي في صورة ساخرة مريرة : ان الفارس البطل الذي خاض الفتوحات العربية وابدع انتصارات خارقة مسخ خصيا حقيرا تجلده الشهوة ويلجمه العجز ، فتسخر الجواري من عجزه وخيبته ويهزأن به . لكنه يظل « فارسا » دونكيشوتيا يجد من يهابونه ويستكينون عبيدا له لانهم اشد منه عجزا واكثر تجمدا ومشاركين له في الموت . وتتحول الارض خرابا لان الملك الصياد يعاني شيخوخة وضعفا ويقف عاجزا عن اشباع شهوة ازواجه . فتحل اللعنة وتجف الينابيع ويذوي الزرع وتغدو الارض صحراء ميتة تعاني شيخوخة ملكها وعجزه . واذا كان ابو الطيب المتنبي قد احس ان بداية انهيار الحضارة العربية يستدل عليه — فيما يستدل — بتسلط خصي اسود على الحكم ورضوخ الفحول البيض امامه ، فان حاوي يرى ان هذا الخصي لا يزال في السلطة منذ اكثر من الف سنة مؤكدا بذلك ان الانهيار والتفسخ والركون آفات ظل يعاني منها الانسان العربي والحضارة العربية حتى اليوم : ان تفتت الدولة العربية العظمى الى دويلات تحارب احداها الاخرى كان مأساة عاشها المتنبي فحاول في شعره ان يعيد خلق الفارس العربي الاصيل ، وبقي استمرار ذاك التفتت وتلك الحروب الداخلية هو المأساة التي حاول